المنهج التاريخي

يهدف المنهج التاريخي إلى إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية معتمدا في الأساس على الوثائق والأرشيف، وهو ليس مجرد عملية بحث عن الوثائق بل يعتبر أيضا إجراءا لإثبات أصالة الوثائق ولترميزها والحفاظ عليها، ويمكن تطبيقه عند دراسة كل أنواع الوثائق مكتوبة كانت أم سمعية أم بصرية أم سمعية بصرية والتي تم إنتاجها في ماض قديم أو حديث، ويعود الفضل إلى المؤرخين في تجديد هذا المنهج وجعله في متناول كل العلوم الإنسانية. لذلك يتناول أي ظاهرة سواء كانت تربوية أو اجتماعية أو سياسية لأن لكل ظاهرة تاريخ وإجراءات متصلة بالتعامل معها في الماضي ولا يمكن دراسة هذه الأمور إلا بالأسلوب التاريخي أو الوثائقي، وبعبارة أوضح فإن هذا المنهج يستخدم مع كافة المواضيع والمعارف البشرية فلكل موضوع ومجال خلفياته وأصوله ومسبباته أي تطوراته التاريخية المهمة في البحث العلمي لأنها تفسر لنا أصول الحالة الراهنة للأنشطة والأحداث التي ندرسها. ويتضمن المنهج التاريخي كأي منهج مسعى خاصا حيث ينبغي على الباحث في بادئ الأمر أن يقوم بجمع الوثائق المتنوعة ثم يقوم بتقييمها أو نقدها فالوقائع والممارسات والأحداث المراد بحثها تكون من خلال السجلات والوثائق والشواهد التي تركتها فنحن لا ندرك تلك الوقائع إلا بما تبقى منها من آثار ولذلك يسمى هذا المنهج أيضا بالمنهج الوثائقي والذي يتعامل مع مغزى وأهمية المعلومات الكامنة في التاريخ الذي هو مجموعة من الظواهر والأنشطة البشرية.

- تعريف المنهج التاريخي

- المنهج الذي يدرس الظاهرة القديمة من خلال الرجوع إلى أصلها، فيصفها ويسجل تطوراتها ويحلل ويفسر هذه التطورات استنادا إلى المنهج العلمي في البحث الذي يربط النتائج بأسبابها.

- إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها ومن ثمة تمحيصها وأخيرا تأليفها ليتم عرض الحقائق في البداية عرضا صحيحا في مدلولاتها حتى يتم التوصل إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات الراهن العلمية الواضحة .

- المنهج الذي يعنى بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفا كيفيا يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة.

- أهمية المنهج التاريخي : تبرز أهمية المنهج التاريخي في كونه يعطي فكرة عن العلاقة بين الظواهر الاجتماعية والعوامل التي أدت إلى نشأة وبروز تلك المشاكل التي واجهها الناس في فترة معينة من الزمن ، كما يقوم بدور كبير في اكتشاف الحقائق التاريخية وإثباتها بطريقة علمية موضوعية ودقيقة وذلك عن طريق التأصيل والإثبات وتأكيد هوية الوثائق التاريخية وتقييمها وتحليلها واستخراج الحقائق والنظريات العلمية حول الحقيقة التاريخية المقصود معرفتها والتعرف عليها، لذلك فالمنهج التاريخي هو منهج علمي يقوم بالبحث والكشف في الحقائق التاريخية من خلال التحليل وتركيب الأحداث والوقائع الماضية المسجلة في الوثائق والأدلة التاريخية بعد التدقيق من صحة معلوماتها وإعطاء تفسيرات وتنبؤات علمية في صورة قوانين عامة ثابتة نسبيا. وكل العلوم الاجتماعية في دراستها قد تستعين بالمنهج التاريخي

وذلك عند دراسة ظاهرة معينة بالرجوع إلى الوثائق الرسمية كالمخطوطات والسجلات والوثائق القديمة وإثبات أصالتها وصحتها ومحاولة مقارنة النص الوارد في المرجع الذي يعتمده بالنصوص الواردة في المراجع الأخرى وكذا محاولة الباحث التحقق من أمانة مؤلف النص من أجل تحليل الظاهرة المراد دراستها وتفسيرها .

3- المنهج التاريخي في بحوث الإعلام والاتصال: يعتبر المنهج التاريخي أداة البحث في المشكلات أو الظواهر الإعلامية في بعدها التاريخي أو سياق الوقائع والأحداث التي حدثت في الماضي سواء لأغراض وصف الظاهرة الإعلامية وتسجيلها كما حدثت في الماضي مثل تسجيل تاريخ المؤسسات والوسائل الإعلامية والبارزين فيها أو لأغراض تفسير علاقات الظاهرة الإعلامية وعناصرها بالواقع والأحداث التي حدثت أيضا في الماضي، بالنسبة للمصادر الأولية في الدراسات الإعلامية تعتبر السيرة والمذكرات الشخصية للرواد والمؤسسين في مجال الإعلام مصدرا أساسيا في هذه الدراسات بالإضافة إلى القوانين والتشريعات والقرارات الخاصة بتنظيم العمل أو تنظيم العلاقات مع المؤسسات أو العاملين فيها أو السجلات الرسمية للتوزيع ومصادر التمويل والميزانيات السنوية ومحاضر الاجتماعات ودفاتر تسجيل الزيارات، ويضاف إلى ذلك التقارير التي يكتبها الأفراد عن الوقائع والأحداث وتحفظ في وثائق المؤسسات أو تنشر في الصحف أو الدوريات حول الأحداث أو الشخصيات الإعلامية، ويشترط في جميع المصادر السابقة ومثيلاتها أن تكون هي المصدر الأساسي وذات العلاقة المباشرة مع الأحداث التاريخية. وتثير التفرقة بين المصادر الأولية والثانوية سؤالا حول تصنيف الصحف والتسجيلات الإذاعية باعتبارها مصدرا أوليا أو ثانويا في الدراسات الإعلامية خصوصا أنه يتم الاعتماد عليها في دراسات تاريخية عديدة وتعتبر هذه المصادر مصدرا أوليا متى كان البحث التاريخي يهدف أساسا إلى الوصف التاريخي لحركة عناصر العملية الإعلامية خلال المراحل التاريخية المختلفة أما إذا كان الهدف هو الدراسة التاريخية للظاهرة الإعلامية في إطار علاقاتها بالوقائع والأحداث التاريخية الأخرى ووصف هذه العلاقات ونتائجها فإنه يجب الحذر في الاعتماد الأساسي على الصحف والدوريات والتسجيلات الإذاعية والأفلام التي أنتجت بواسطة وسائل الإعلام ويفضل التعامل معها كمصادر ثانوية يجب دعمها بمصادر أولية أخرى وذلك نظرا لتأثيرات عملية النشر والإذاعة على المنتج النهائي الذي يعتمد عليه في الرصد والتسجيل وهو المحتوى المنشور أو تسجيلات الراديو والفيديو والأفلام ، وفي هذا السياق يرى بعض الباحثين أن هناك عدة ضوابط ومعايير لا بد وأن يهتم بها الباحث ويراعيها عندما تخضع صحيفة ما للدراسة والبحث حيث يتوجب عليه دراسة عدة أبعاد من أجل الاستعانة بالصحيفة كوثيقة تاريخية ومن بين هذه الأبعاد:

- ✓ البعد البشري
- ✓ البعد الاقتصادي
- ✓ البعد الإعلامي
- ✓ البعد السياسي

وعلى الرغم من التراجع الواضح للدراسات الإعلامية وفق المنهج التاريخي بسبب الاهتمام المتزايد بالمناهج الأخرى فمازال للتاريخ دور مهم إذ يندر أن يكون هناك بحث إعلامي في أي مجال من مجالات الإعلام إلا ويكون مستندا على رؤية أو خلفية تاريخية سواء أكان ذلك في تتبع النشأة الأولى للظاهرة الإعلامية قيد البحث أو في استعراض ومراجعة البحوث السابقة، ومن جهة أخرى فإن البحث الإعلامي التاريخي يزود الباحثين بالجذور التاريخية لنظريات الإعلام والاتصال وتطورها

والممارسات الإعلامية التي تطورت وانتشرت وتنوعت كما أنه يوفر للباحثين في أنواع البحوث الأخرى المادة العلمية اللازمة لإدراك الصلة الوثيقة بين الإعلام وبيئته السياسية والاجتماعية والاقتصادية بكل مكوناتها والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها وتتأثر بها.

- **خطوات المنهج التاريخي:** يتطلب المنهج التاريخي إتباع الخطوات التالية:

- **اختيار موضوع البحث التاريخي:** يتم ذلك في ضوء المعايير العامة لاختيار المشكلة مع الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد التي تتعلق بالمكان والزمان الذي حدثت فيه الظاهرة أو تم فيه الحدث التاريخي أو بمعنى لآخر متى وأين وكيف ولماذا وقع هذا الحدث التاريخي ومن هم القادة أو الزعماء(الأشخاص) الذين كان لهم دور بارز في هذه الواقعة بالإضافة إلى دراسة السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي السائد أثناء الحدث التاريخي .

- **جمع البيانات والمعلومات:** تتطلب هذه الخطوة من الباحث الغوص بعيدا في المصادر الأولية والثانوية واختيار البيانات التي ترتبط بمشكلة بحثه وعلى الباحث التمييز بين المصادر الأولية والتي تتمثل فيما ظهر منها أولا والتي تأخذ أشكالا مختلفة من الخطابات والمذكرات اليومية والخطب والقوانين وتقارير التعداد وسجلات الهجرة والوثائق والصور الفوتوغرافية واللوحات الزيتية والأفلام والمباني، وكذلك المقابلات الشخصية التي يجب على الباحث أن يتحرى الدقة فيها من خلال تكرار تشابه رواية الحدث من عدد من الناس بنفس الطريقة حيث يعطي الثقة والمصداقية في تلك الرواية لتصبح شاهدا تاريخيا. وتتمثل المصادر الثانوية في أعمال المؤرخين الذين كتبوا وفسروا الأعمال التي تناولتها المصادر الأولية ومنها الصحف والمجلات والكتابات الأدبية والأعمال الفنية والقصص والقصائد والأمثال والألعاب والرقصات المتوارثة.

- **نقد وتقييم مصادر البيانات:** تعد هذه العملية في البحث التاريخي ضرورية وهامة فالوثائق والسجلات يمكن أن تتعرض للتجريف أو التعديل أو التزوير كما أن شهادات الأشخاص عرضة للتزوير والنسيان ومن الممكن أن تقوم جهات معينة بدس وثائق وسجلات لخدمة غرض معين فقد اكتشف الباحثون أن كثيرا من المسلمات التي كانت شائعة ليست صحيحة وكثيرا من المواقف والآراء التي نسبها المؤرخون لأشخاص ليست صحيحة وهو ما يجعل مهمة الباحث في نقد المصادر مهمة بالغة الدقة فالباحث ينقد وثائقه نقدا خارجيا يتصل بأصالتها ونقدا داخليا يتصل بمحتواها.

النقد الخارجي للوثائق: يستهدف التحقق من صحة المصدر أو الوثيقة في علاقتها بالفترة التاريخية من خلال الشكل والبناء والمقومات التي تتفق مع خصائص هذه الفترة ومميزاتها فمثلا هل تتفق وثيقة ما خاصة بالرقابة على الصحف مع الشواهد والأدلة التي تشير إلى إلغاء الرقابة أو استمرارها خلال هذه الفترة وهل تتفق الأرقام الخاصة بتوزيع الصحف في هذه الفترة مع الأدلة والشواهد الخاصة بوجود أزمة اقتصادية أو انخفاض مستوى التعليم أو ارتفاع الأمية في هذه الفترة وهل كان التمويل يسمح بطباعة الأعداد من الصحف التي يشار إليها في تقرير التوزيع في هذه الفترة. ويمكن القيام بالنقد الخارجي للوثائق عن طريق طرح الأسئلة التالية:

- ✓ هل تطابق لغة الوثيقة وأسلوب كتابتها وخطها وكيفية طباعتها مع الفترة التي كتبت فيها الوثيقة
- ✓ هل تطابق لغة الوثيقة وأسلوب كتابتها وخطها وكيفية طباعتها مع أعمال المؤلف الأخرى

- ✓ هل هناك تغيرات في الخطوط
- ✓ هل هذا المخطوط أصلي أم هو نسخة منقولة عن الأصل

ويهتم النقد الخارجي أيضا بالتأكد من شخصية كاتب الوثيقة أو مؤرخها وما عرف عنه من صدق أو أمانة وذلك بدراسة تاريخه وما كتب عنه كما يجب التحقق من تاريخ النشر لما له من دلالة على ما ورد بالوثيقة كما يجب التأكد من الكاتب إذا كان معاصرا للحوادث التي كتب عنها أو هو شاهد عيان صادق في كتابة ما حدث.

النقد الداخلي للوثائق: يستهدف التحقق من صحة المعنى أو المغزى والتأكد من صدق المحتوى للوثيقة أو المصدر ويتم التفريق بين التقويم أو التحليل الداخلي الإيجابي والسلبي، حيث يستخدم الإيجابي للتفرقة بين العناصر الأولية التي يحتوي عليها النص التاريخي وإدراك كل عنصر على حدة للوقوف على المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه بناء المحتوى فيستهدف تحديد المعاني المختلفة لكل ما تتضمنه الوثيقة من جمل وعبارات وتراكيب لغوية مقارنة بلغة العصر الذي كتبت فيه، أما التحليل الداخلي السلبي فيهدف إلى معرفة الظروف التي وجد فيه كاتب الوثيقة وقت تسجيلها وشهادات الآخرين شهود العيان في علاقتها بالدوافع والبواعث التي كان يمكن أن تؤدي إلى التحريف أو احتمالات وجود الخطأ في تسجيل الوثائق أو الأقوال في هذه الفترة التاريخية. ويمكن القيام بالنقد الداخلي للوثائق عن طريق طرح الأسئلة التالية:

- ✓ ماذا تقول الوثيقة : حيث نتوقف عند مختلف المواضيع التي عالجتها .
- ✓ لماذا عالجت الوثيقة هذه المواضيع : حيث نسجل مواقف المؤلف انطلاقا من مواقف المؤلفين حول المواضيع المؤيدة أو غير المؤيدة ثم نقوم بفحص القيم التي تم نقلها بطريقة ظاهرة أو خفية، إننا نبحث عن معرفة ما الذي أدى بالمؤلف إلى إنتاج هذه الوثيقة و هل هناك نوايا يمكن استخلاصها.
- ✓ في أي سياق تم إنتاج الوثيقة: فالوثيقة لا يتم إنتاجها صدفة وبالتالي ينبغي الرجوع إلى الفترة وإلى المجتمع اللذين ظهرت فيهما هذه الوثيقة. كما يمكن طرح الأسئلة التالية:
- ✓ ما الذي يعنيه الكاتب بعبارة ما وما هو معناها الحقيقي المميز لها
- ✓ هل صدرت العبارة عن عقيدة صادقة و هل يهتم الكاتب بخداع القارئ
- ✓ هل كان يقع تحت ضغط التزييف
- ✓ هل كان متأثرا باتجاه معين أو متعاطف مع تيار فكري أو حركة سياسية معينة
- ✓ ما مدى ملاءمة الوقت والمكان للملاحظة والتسجيل وقتئذ
- ✓ هل كان من السهل ملاحظة مثل هذه الوقائع والأحداث أم كان صعبا
- ✓ هل كان الكاتب مجرد مشاهد أم أنه مدرب على الملاحظة والرصد
- ✓ مدى صحة العبارات واتفاق بنائها مع لغة العصر.

- تصنيف الحقائق وتحليلها وإعادة تركيبها: هي العملية الخاصة بإعادة عرض الوقائع والأحداث كما حدثت في الماضي في إطار الأهداف التي يسعى البحث لتحقيقها أو التساؤلات التي يسعى للإجابة عليها وتفسيرها في تقرير نهائي يقدم رؤية الباحث لهذه الوثائق في إطار ما قام به من إجراءات وما استند إليه من مصادر.